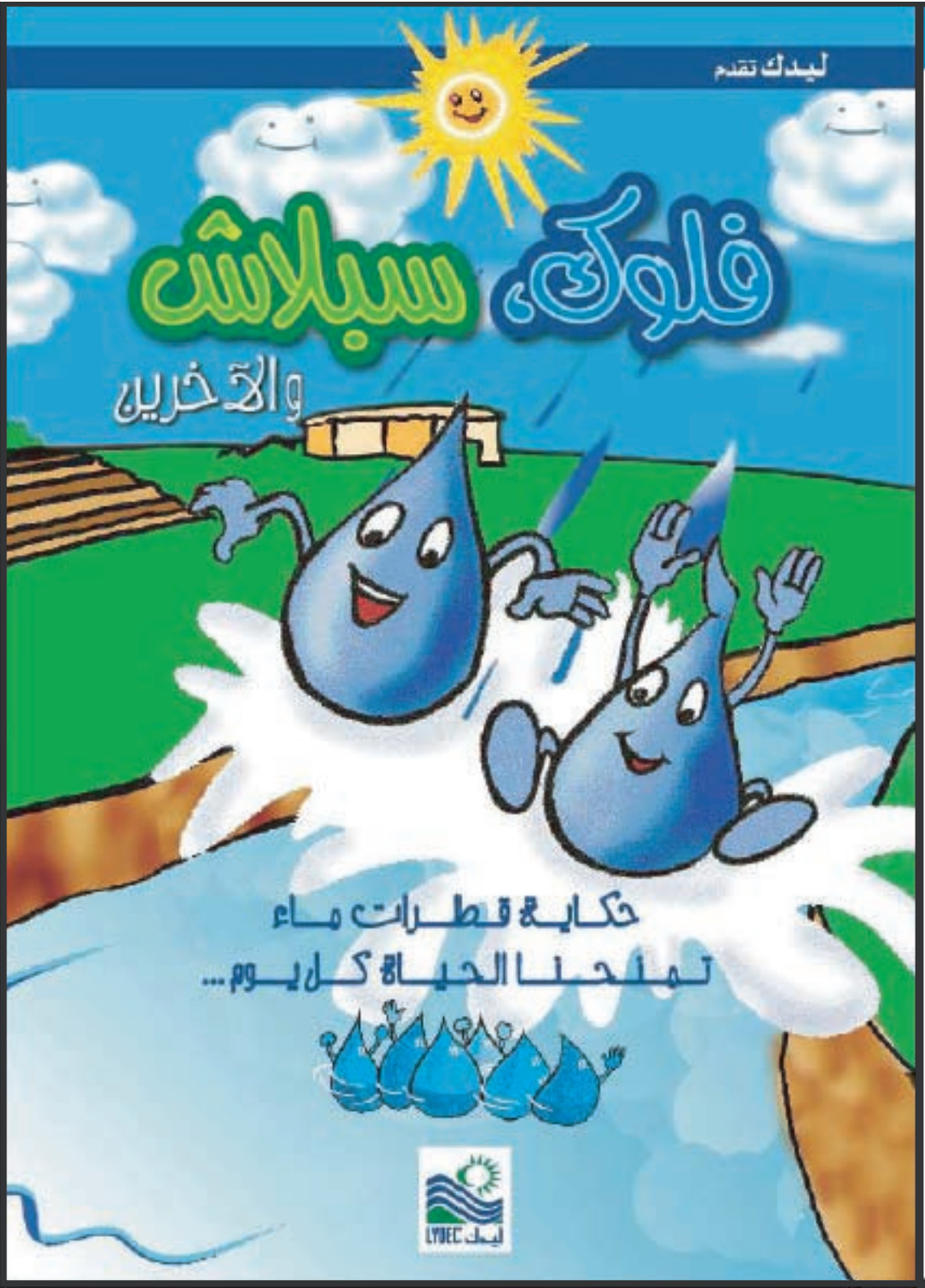

حكاية قطرات ماء تمنحنا الحياة كل يوم

تصميم وإنجاز : ليدك
رسم : كازا بروميير

ليدك 2010 - جميع الحقوق محفوظة

www.lydec.ma

من أسعد اللحظات لدى الحفيدين نور وصافية، تلك الأوقات التي يقضيانها في سماع جدهما يتحفهما بحكاياته الشيقة وروايته المثيرة. وهذا هو حالهما الآن وآذانهما كلها صاغية ومتلهفة في انتظار بداية الحكاية. لكن الجد كعادته يطيل في الانتظار ويكثر في التشويق، والجديد في الأمر هذه المرة هو مسكه كأس ماء وهو يحذق ويمعن فيه النظر مثيرا به استغراب الحفيدين. وأخيرا نطق قائلا :

- اسمعاني جيدا، سأقص عليكما حكاية قطرة الماء كما حكتها لي هي نفسها. أجل إن قطرة الماء لا تتكلم، ولو تكلمت فقد لا نسمع قولها. والخلاصة أن هذه القطرة حدثتني ذات يوم ورضيت بأن تكشف لي أسرارها بعدما اقتنعت أنني أعي جيدا قيمة الماء الذي أنعم الله علينا به وجعل منه كل شيء حي. واستطردت القطرة تروي :

جو ممطر يسود داخل السحاب. لقد تم الإعلان عن الإنطلاقة الكبرى. الإستعدادات أخذت سكتها الصحيحة، لأنه خلال ساعات بالضبط سيهطل المطر. كل قطرة ماء تعترف بأفضال هذا الإسم عليها. **فالمطر هو المبشر بانطلاق أكبر دورة للماء.**

سأقوم لأول مرة بأطول رحلة.

نعم... إنها ولادتي. قبل هذا، **كنت مجرد بخار. لكنني بعدها سأتجمد بفعل برودة الهواء الشديدة وأصبح فلوك** "Floc" بهذا الإسم لقبني باقي سكان السحاب. على ما يبدو، فهو أول صوت أطلقته مباشرة بعد ولادتي والعادة أن تسمى قطرات الماء بهذا الإسم. لاحظوا أن فلوك"Floc" إسم دائم الصيت كما هو الحال بالنسبة لكل من بليك وبلوك وبلاك وفليك وفلاك.

حظيت مبكرا برعاية أخت من أخواتي القطرات، أفادتني بتجربتها وأسهمت في تكويني.

أكدت لي أن الريح
العاتية التي تشغل مضخة المطر كانت على الأبواب خلال الساعات
التي تلي. **كان على مرشدي العمل من أجل إتمام تكويني**
على أرض الواقع. عفوا، نسيت أن أعرفكم به. إنه كثير الحركة...
سبلاش "Splash"... **هذا هو إسمه**، لقد تم تعيينه مباشرة
بعد ولادتي قصد مرافقتي خلال الدورة الكبرى. لا أعرف هل هو حظ
أن أقع عليه لإنه أقل أوامرا. حتى إسمه، سبلاش ليست له شهرة
كبيرة لدى القطرات. لقد سبق له أن سافر عدة مرات

و يعرف جيدا البلد. على أي، كان
دائما لطيفا معي. فضلا عن ذلك،
ها هو يتجه نحوي والبشاشة تعلو محياه.

- هيئي نفسك... سنرحل خلال دقائق.

- مازال أمامنا متسع من الوقت، فأنا لست مستعدة االآن.
لازلت في حاجة إلى تعلم الكثير من الأشياء.

- لا تخافي، ليس أمامك سوى الإنطلاق. في كل الأحوال،
تبقى الخطوة الأولى هي الأساس.

- كيف الحال في الأسفل ؟

- ستكتشفينه جيدا بعد قليل. هل أنت مستعدة ؟
هيا لننطلق.

قبض علي بيده بكل قوة. انقشع نور في السماء تبعه بعد ذلك صوت
مدوي. إنها إشارة تنتظرها كل قطرات الماء للإندفاع نحو الفراغ.

-لا تتسرعي ودعي القطرات الأخرى تسبقنا لتدلنا على الطريق.

كانت هذه تعليمات سبلاش.
بعد دقائق معدودة، سيأتي دورنا للقفز. ألقيت آخر نظرة على سحابتي.
لا أعرف هل سأعاود رؤيتها يوما ما.تعرفون أن السحب لا تستمر،
فهي تذوب هنا لتتكون هناك مرة أخرى فيالجهة الأخرى.

سحابتي لم تكن لتخرج عن هذه القاعدة.

مع السلامة بيتي المحبوب. مسبقا كان سبلاش قد رمى بنفسه في الفراغ ويلزمني آن أتبعه حتى لا أصبح مبعدة. أشعر بالخفة في السماء، أشعر بأنني سأطفو، رغم أن قوة الريح تتقادفني في كل الاتجاهات. إلا أنني أتمكن من البقاء ضمن كوكبة سبلاش كما تدل على ذلك إشارته. ها آنذا ضمنها مستكشفا نقطا صغيرة فوق الأرض... منازل بني البشر تملأ نظرة العين. ليس لدي الوقت الكافي للإستمتاع بهذا المشهد مادام سبلاش يريد منا مسايرة التيار الهوائي للنزول مباشرة عند انطلاق الدورة المائية.

- سنعمل بكيفية لا تشوبها أخطاء تمكنك من عدم تضييع ولا حلقة من دورة الماء... هيا اتبعيني. بهذا كان يوجهني سبلاش.

من السهل قول ذلك بدل عكس القيام به. إنه كان متعودا على هذا النوع من السفر. أما بالنسبة لي، فكل شيء كان جديدا :

- كم هو جميل هذا المنظر !

- أنظري، إنها بحيرة... طريقنا السيار نحن قطرات الماء.

كنت أنظر بشغف طول الشريط الذي كان يمر عبر الحقول. كان سبلاش يؤخذني من يدي. اعتقد أننا وصلنا إلى وجهتنا.

- أمسكي جيدا حتى لا تتلطخي.

ليس لدي الوقت لكي أتنفس وأنا ألتصق بالأرض. انشرحت في فترة قصيرة قبل أن أستعيد عافيتي. لحسن الحظ، لازلت قطعة واحدة وسبلاش لازال بجانبي. نأخذ معا طريق المجرى الصغير. الأرض المبللة بالماء تسهل تقدمنا.

- جميل هذا الأمر... لست في حاجة إلى تذكرة للركوب في الحافلة. هكذا كان يمزح معي سبلاش...

في فترة إحباط، لم أكن أتـقـبل طريقة مزاحه.
يمكن القول أنني أواجه مشكلا جديدا...
أشعر أنني متسخة وأنا المتعودة على صفاء السحب.

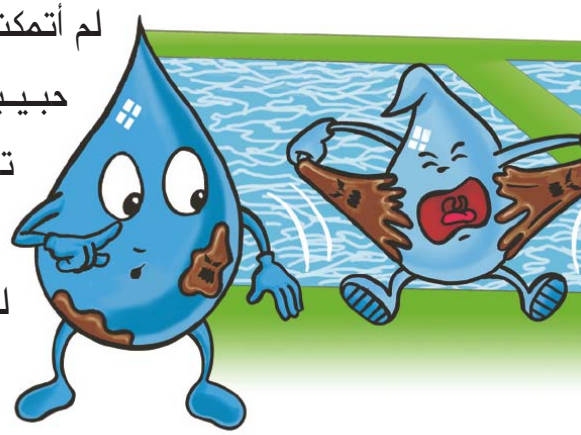

لم أتمكن من التـخلص من حبـيـبات التراب التي تلتصق بجلدي.
لا عليك... هكذا قال لي سبلاش خافيا ضحكته.
هذا بالرغم من أنني داخل المجرى المائي، بالإضافة إلى حبيبات التراب، كنت مطوقة بالعديد من المكروبات الصغيرة التي كانت تـتعلق بي.

- يا إلاهي... أنا من كنت أكثر صفاء أصبح متسخة. أنظر أصبحت مثيرة للإشمئزاز.

- كفى من التظاهر بالبكاء... لا عليك... لن يستمر هذا الأمر. سآخدك إلى مكان حيث تستعيدين رونقك.

هكذا كان يقول لي سبلاش وهو يتمرغ في الأوساخ، ولم أكن أعرف كثيرا هل أفعل مثله أم آخذ كل احتياطاتي. على أي حال، فالتيار الذي كان يجرفـني لم يترك لي حرية الإختيار.

ساعات متعددة من الطريق تأخذني نحو حوض مائي كبير حيث يعم الهدوء.

ملايـين القطرات بل الملايـيـر تمرح هنا منـتـظرة شيئا لا أعرفه. ألتحق بهن لأجد لوحة إعلانات موضوعة بشكل جيد وواضح على حافة الماء تدلني على المكان الذي نـتواجد به. فـقـد كتـب بأحرف بارزة **"خزان سد سيدي سعيد بن معاشو."** لم أعد في حيـرة من أمري. فحسب سبلاش، وجهـتـنا هي مدينـة الدارالبـيضاء.

هـذه المدينة الساحلية الكبـيرة جميلة كما سبق لي أن سمعت كل شيئ حسن عن الذين فوض لهم أمر تدبـيـر شـؤون المـاء بهـا. بعد أيام متعددة داخل خزان السد، يأتي دورنا للمرور من البوابة الصغيرة التي مرت منها قطرات أخرى قبلنا. يلزمنا الإحتياط كثيرا حتى لا نتبخر لأن الشمس الساطعة بشكل كبير يمكن أن تجعل من رحلتـنا رحلة قصيرة. كان سبلاش يعرف جـيدا الطريق. إنـه يـقـتـحم المسار بدون تـردد.

- هل سمعتي بالحمام. طيب، إن مركز المعالجة يمكن اعتباره حمامنا الذي نتخلص فيه من كل الأوساخ التي تلوثنا.

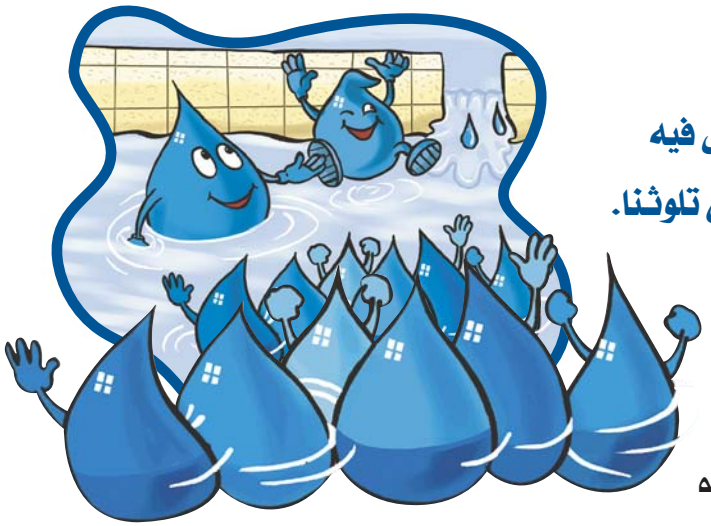

هذا ما شرح لي سبلاش في حديـث قـصير. أخذ مهمتـه بـجـديـة لازمة حيث أنه لم يـتـردد في توجيه النصائح والشروحات لي.

- لكي ندخل محطة المعالجة، علينا أولا المرور من شبكة الحوض قصد التخلص من الأوساخ العالقة بنا. إنه يقوم بتصفية الأوساخ الكبرى... الأغصان الميتة والأوراق وكل ما حملناه خلال رحلتنا. يمكن القول إننا ألفنا مرافقتها لنا نحن قطرات الماء.

من جهتي، لم أكن أرغب في أكثر من التـخلص من الأوساخ التي جعلتـني أكثر اشمئزازا. نعم، أعرف أنني كنت أقل رونقا... لكن هذا ليس مشكلا.

فعلا، القضبان تقوم بمهمتها على أحسن مايرام، وها نحن نصل إلى حوض التصفية. سنمكث به بعض الوقت إلى حين تخلصنا من كل البقايا التي نحملها معنا. إلا أنه من المستحيل التخلص من المكروبات التي تلتصق بنا بكل ما أوتيت من قوة.

كنت غير قادرة على التخلص من التـفكير فـيها بفعل ثـقـل وزنها الجاثم على جسدي الضعيف. ظل مرشدي أكثر تأملا واسترخى طيلة الساعات التي قضيناها داخل الحوض. أعجبت كثيرا بهدوئه. **طيلة هذه الإقامة القصيرة، إلتقيت نقطة ماء جديدة لطيفة جدا إسمها بلوك** "Ploc" **وإسمها العائلي بلاك**"Plac".

إسم عائلة كبيرة...

لا شك أنكم لم تسمعوا عنها كثيرا من قبل. أؤكد لكم أنه لدى قطرات الماء، تبقى عائلة معروفة جدا لكونها تستمد أصلها من مياه المنبع. بلوك متواضعة جدا. تفاهمنا بسرعة وقررنا مواصلة ما تبقى من الطريق سويا، مادام سبلاش لا يرى مانعا في ذلك.

- طبعا، إذا كان هذا يروقك.

ستكون مرافـقـتها لي اكـثـر فائـدة من الميكروبات التي تجتاحني. لن أكف عن حك جسدي... وهو الأسوء بالنسبة لقطرة ماء. فمن اختارت الإقامة بكتـفي الأيمن، سوسة حقـيـقـية.

أطلقت عليها لقب الميكروب الشرير لأنه كان كذلك بالفعل.

أسمعه ليلا يـتكلم في حلمه بجهـر عن الأمراض التي قد يسببها للأطفال الذين سيطفئون عطشهم بي. لا أعرف كيف أتخلص منه.

صارحت سبلاش بذلك، فأجابني بحزمه التـقـلـيدي :

- لا عليك، فكل شيء ستتم تسويـتـه قريبا.

بلوك"Ploc"**، لها نفس مشاكلي. إنها تحك بكل قوتها أكثر مني ونحن ندخل حوض التصفية بواسطة الرمال والفحم النشيط. نتوغل بين قطع الفحم التي تصقلنا وتمسحنا بعناية فائقة** لتعيد لنا بريقـنا فنـتـلألأ نظافة عند خروجنا. أيييـيـي!!! لسعة نبهـتـني للأمر. الميكروب الشرير لازال هنا. إنه يستهزئ من الفحم المكلف بعمليـة التصفية والذي لم ينجح في انـتـزاعه. إنه قـلـيـل التربـيـة وعديم الأخلاق. فـقـدت كل أمـل إلى حـد البكاء أمام ما صدر من سلوك قبـيـح للميكروب الشريـر اتجاه الفحم النشيط.

- ألن يـتم تخليصي منه ؟

- صبرا، صبرا ! بهذه العبارة المطمئـنة اجابني سبلاش"Splash". فجأة، عم الصمت. لقد وصلنا إلى حوض جديد. **"إنه حوض التعقيم"**.

فكما أخبرني مرشدي، بعد فـترة قصيرة، وصلت طوابـير من ذرات ظريفة في صفوف متزاحمة. تحركها الهادئ... بشاشتها وحزمها لا يتركان أي شك وهي تقوم بعملها بكل احترافية. **فريق جزيئات الأوزون هدفها هو تخليصنا بصفة نهائية من كل الميكروبات والبكتيريات التي تلازمنا.**

أشعر بالميكروب الشرير يرتعش. إنه ينخرط في معركة لاحظ له في الظفر بها. **جند الأوزون تقلص بسرعة فائقة الميكروبات إلى حد العدم، مما يزيد من فرحة قطرات الماء.**

ياالله ! أخيرا إستعدت نظافـتي...

لن أعاني من نظرات ولسعات الميكروب الشرير الساخرة. ها هو واحد ممن سيرافـقـونـني، لامحالة، يتوجه إلي قائلا :

- ماذا كنت أقول لك ؟ إن من يقومون بتسيير هذه المحطة يتميزون باحترافية عالية. إنهم يعملون على تخليصنا من الميكروبات.

- أصبحنا الآن إذن ماء شروبا ؟

- ليس الأمر كذلك بعد... لاتزال أمامنا آخر مرحلة .

تساءلت عما كانوا سيضيفونه إلي وأنا التي كنت أشعر أنني على أحسن ما يرام. **كان الجواب سريعا على شكل وحدات مساعدة مكونة من جنود الذرات في هيئة مختلفة تسمى الكلوريت والتي سترافقنا إلى محطتنا الأخيرة.**

الطريق نحو الصنابير طويلة ومحفوفة بمخاطر عدة. إنها تصد كل إعتداء ميكروبي ساهرة على صفائنا. هذه آخر مرحلة في هـذه المحطة. أخذنا الطريق نحو الدار البيضاء منذ ساعات عـدة.

كنا نشعر بالأمان ونحن في حماية جنود الكلور الذين كانوا على استعداد لتدمير كل مكروب خولت له نفسه الإقتراب منا. يمكنني إذن أن أستمتع، بكل طمأنينة، بألعابي المفضلة صحبة صديقتي بلوك "Ploc". أطلقنا العنان للضحك على كل ما حولنا ونحن نستغل كل الدفعات من مختلف المضخات الآلية للمسار المائي قصد القيام بقفزات أمام أعين سبلاش "Splash". خلال هذه الفترة، تظهر في الأفق مدينة كبيرة... إنها الدارالبيضاء. سبق لي أن سمعت بها داخل سحابتي، إلا أنني كنت أنتظر أن أرى ذلك بأم عيناي. كنت أشعر بمد مائي يقل تدفقه أمامي، الشيء الذي جعلني أنا وفلوك "Floc" نتساءل عما يحدث، خاصة عندما كان يقابلنا وجه إنسان يرتدي بذلة بيضاء وهو يقوم بحركات غريبة حولنا. سألت سبلاش "Splash" عن سر هذه العملية فأجابني محذرا إياي :

- إنه يتهيء لإجراء تحاليل دقيقة حول جودتنا. إعلم أن الماء في الدار البيضاء تتكفل بتدبيره شركة تسمى ليدك تحرص على الدقة في الجودة. قبل الوصول عندها، يلزمنا الخضوع لأكثر من مائة اختبار، ومازال ينتظرنا فحص دقيق جدا.

استعدي إذن، فالمختصون بليدك لايتساهلون بخصوص هذا الموضوع.

أصبحت أدرك الآن أنني أهتز في كل الإتجاهات. فأنا أتخوف من احتمال عدم مطابقتي لمعايير الجودة المشترطة من طرف ليدك. حتى سبلاش "Splash" تشنج من ذلك بدوره. بعد مجموعة من الإختبارات وقع الإختيار علينا.

وهذا ما جعلني أطير من الفرحة وازدادت سعادتي إلى حد أنني عانقت بلـوك "Ploc" وسـبلاش "Splash" وباقي القطرات التي كانت تمر بالقرب منا. إنفتح لنا منفذ مائي حيث سمح لنا بالمرور لقنوات تذهب بنا نحو فضاء رحب و منعش بشكل عجيب.

- إنه خزان مديونة، الأكبر من نوعه في إفريقيا، حيث سنقضي بعض الوقت قبل مواصلة الطريق.

بعد أن شرح لي مرشدي ذلك، طلبت منه استغلال فترة قيلولته للخروج من أجل اكتشاف هذا المكان المريح جدا لنا نحن قطرات الماء.

- لك ما تريدين، شريطة ألا تتأخري كثيرا.
فقد نغادر المكان في أية لحظة.

وأنا أتجول رفقة بلوك "Ploc" بين أعمدة الخزان، رفعت عينايا نحو السقف العالي جدا. توجهت بلوك "Ploc" إلي قائلة:

- يثيرني فضولي لاكتشاف ما يجري خارج الخزان.

- أشاطرك الرأي ... إلا أنني لا أعتقد أنه بمقدورنا القيام بذلك. فهذه العملية تتجاوز طاقتنا نحن قطرات الماء.

- في كل الأحوال، جميل جدا أن نتواجد هنا خاصة وأننا لا نشعر بالضيق كما هو الحال داخل الأنابيب. هذا بالإضافة إلى برودة المكان التي تجعلنا في مأمن من التبخر داخله.

- أنت محقة، فلولا رغبتي في اكتشاف البلد، لاخترت البقاء هنا مدى الحياة.

قاطعتني قطرة ماء مسنة سبق لها أن مرت من هنا :

- لن تتمكني من ذلك لكونهم يعملون على إفراغ الخزان بشكل منتظم خلال السنة قصد تنظيفه، مما يحول دون بقاء أية قطرة به أكثر من الوقت اللازم. على أي... أنظروا، إنهم يستعدون للرحيل.

أسرعنا جميعا للإلتحاق بسبلاش "Splash" الذي كان قد استيقظ للتو. أخذنا من أيدينا والتحقنا نحن الثلاثة بالمجرى الكبير لدخول المدينة. إنه آخر مسار مستقيم قبل الوصول إلى بني البشر.

لم يكن بمقدوري رؤيتهم بعد، إلا أن الضجيج المصم للآذان والذي كان ينقر فوق رأسي المسكين، كان كافيا لأخذ فكرة عن عددهم. لست أدري هل سأتعود على هذا الجو المشحون والمقلق. على أي حال، لا خيار آخر أمامي... سأستمر في رحلتي.

داخل القناة، أشعر بدوران بفعل ضجيج أصم يرتفع على طول مجرى التيار. تأكدت أن خطرا يحذق بنا : يتعلق الأمر بتسرب مائي على بعد مئات الأمتار. نحاول التراجم إلى الوراء، إلا أن التيار كان أقوى منا ويدفعنا بلا رحمة ولا شفقة نحو التسرب. ملامح سبلاش "Splash" تؤكد أن الوضع خطير جدا. فإذا لم يتم التدخل فورا للحد من هذا التسرب، سيكون مصيرنا الضياع في الطبيعة لتجهظ رحلتنا قبل الأوان. كلما كنا نقترب من مكان التسرب، كلما جذبنا التيار أكثر !

- أليس بالإمكان تفادي هذا الوضع ؟

أغلق عيناي وأفتحهما من جديد لأجدني دائما على قيد الحياة وبجانبي سبلاش "Splash". أما بلوك "Ploc" فقد ضاع...

وأتساءل هل أنا في جنة قطرات الماء. أجابني سبلاش "Splash" بوجهه الشاحب والمنكسر :

- لا، أنت مازلت حية. أعتقد أن شخصا ما حد من تسرب الماء.

بالفعل، تم إغلاق الأنبوب لتظهر، من خلال ثـقب صغير، مجموعة من الناس منهمكين في عملهم حول المكان.
أنحني أكثر لرؤيتهم بشكل جيد. يرتدون جميعهم بدلات زرقاء ويتحركون بسرعة فائقة للبحث عن التسرب. لقد تعرفـت على هويتهم من خلال علامة صغيرة موضوعة على صدورهم تحمل اللونين الأخضر والأزرق، سبق لي أن رأيتها بمحطة مديونة.
بكل تأكيد إنهم حماتـنا الأعزاء العاملين بليدك. فهم المكلفون بصيانة شبكة الدارالبيضاء. أعترف أنهم قاموا بمهمتهم على وجه السرعة وإلا كان مصيرنا الضياع. أعادوا فتح الأنبوب بسرعة فائقة. مرتعشا أترقب مكان التسرب و أنا أقترب منه. أصبح مسموحا لنا المرور نحو الجانب الآخر بدون خوف. هذا بالفعل ما حدث، فكل شيء أصبح على أحسن ما يرام. وأنا أبحث عن بلوك"Ploc" في المناطق المجاورة، اكتشفت أنها اختـفـت.
سألت الله أن يحفظها من كل مكروه كما حفظنا نحن من أخطار التسرب. نقترب من منازل بني البشر.
إخترت من بينها من كانت تظهر لي جميلة.

أما سبلاش "Splash" الذي كان يتبعني، فقد أخبرني أنه لم يعد لديه ما يلقنني وبأنه، من الآن فصاعدا، يمكنني الذهاب إلى هناك بمفردي. وأنا أقترب من قناة المنزل، لمحت عند مدخله وجود آلة عجيبة، تـشبه إلى حد ما الساعة، تحرس المكان. كانت تراقب قطرات الماء وتحصيها قبل أن تسمح لها بدخول المنزل.

ضحكت في وجهي وأنا أقف أمامها. أعبر بكل سهولة هذه الآلة التي تعرفت عليها خلال الحصص الدراسية التي كنت أتابعها في السحاب. **إنه عداد يحتسب استهلاك الماء الشروب من طرف الأسر.** الشيء الذي جعلني مغمورة بالنشوة والفرح. **فالماء ثروة نادرة لا يجوز في أي حال من الأحوال تبذيرها.** بفضل العداد، يصبح بإمكان بني البشر تكوين فكرة مدقـقة عن حجم الماء الذي يستهلكونه.

لم تبق أمامي سوى لحظات محددة ليفتح صنبور ما.

أنتظر عشرات الدقائق كانت بالنسبة لي بمثابة عمرا أبديا قبل أن يفتح هذا الصنبور. هذا بالفعل ما حدث. سقطت بسرعة داخل كأس ماء لأجد أمامي طفلا صغيرا ينظر إلي بشراهة أو بالأحرى طفلة لأنني أرى ضفائر. **بفضل نداء أمها أتعرف على اسمها : صافية.**

دون أن أدري لماذا ولا أن أعرف كيف، أدركت أنني أحببت هذه الصبية، وتجدني مستعدة لأهدي لها نفسي حتى تطفئ بي ظمأها. **ها هي تقرب كأس الماء من شفتيها، ثم تجترع، فإذا بنا، نحن معشر قطرات الماء، نتهاوى عبر حلقها مغتبطات بارتوائها.**

بعد ذلك، أسقط داخل مكان مظلم درجة حرارته مرتفعة. أشياء كثيرة داخل هذا المكان : شكولاطة... حلويات وبسكوتة... يظهر أنها طفلة شرهة ! غرقنا في ظلمات جسمها ولم نعد نبصر شيء وكل ما أعرفه أنني غارقة في الماء. الماء أكثر مما تتصورون إذ أن ثلاثة أرباع جسم الإنسان من هذه المادة الحيوية، وإن تساءلتم أين لي بمعرفة ذلك، أخبركم أنني قد علمت به وأنا فوق السحابة. أظن هذا كافيا لتنويركم، أما أنا فما زال الظلام يلفني لساعات طوال قبل بزوغ بصيص نور. أول ما تبين لي مركن مرحاض حملت إليه داخل تدفق سائل ساخن ولزج. بعدها قدف بي تدفق مائي

نحو قنوات أخرى أكبر من تلك التي صعدت عبرها إلى هذا المنزل. أخذت الطريق مرة أخرى بمفردي لأن سبلاش "Splash" كان قد اختفى بصفة نهائية. وجدتني أكثر اتساخا بهذا المكان. مع الأسف بني البشر يقدفون أي شيء داخل قنوات التطهير : زيوت وأزبال ومواد كيماوية ورمال تختلط فيما بينها لتنبعث منها رائحة نتنة أتمرغ بدوري داخلها. هذه المرحلة الثانية من رحلتي أقل متعة، مما دفعني للتساؤل حول العيش بالبادية. لم تكن القذارة أبدا لتزيدني قوة. لم أستطع التكيف مع هذا الوضع الجديد. كنت دائما أتساءل : إلى متى؟! متدفقة أنا من أنبوب إلى آخر. وصلت بالقرب من البحر الذي شهد

ولادتي. تعرفت على رائحته من خلال اليود. كنت أشعر بالخيبة خاصة وأنه لن يتعرف علي وأنا على هذا الحال. لقد أصبح منظري بشعا. صحيح أنني إنفلتت من الصابون والمكونات الكيميائية. إلا أن الوحل لايزال يلتصق بي، الشيء الذي جعلني أتقزز من رؤية نفسي أمام المرآة.

- نصيحتي إليك أيتها الصغيرة إن كنت ترغبين فعلا في استعادة جمالك... عليك بالمرور بمحطة العنق للمعالجة الأولية لتتكفل بك ليدك داخلها. كانت هذه نصيحة من إحدى معارفي الجديدة.

فأبيت إلا أن أقوم بهذه الخطوة. بدأت أتعرف الآن على علامة ليدك الساطعة بلونيها الأخضر والأزرق. إستعدت ثقتي بنفسي وأنا ألمح هذه العلامة على لوحة المحطة. تم التكفل بي مباشرة عند وصولي لأمر مجددا عبر العديد من الأحواض التي بداخلها تمكنت من التخلص من الرمال والذهون العالقة بي. أشعر أنني أحسن حالا مما سبق بالرغم من أنني لم أستعد بعد كل صفائي. رغم هذا، فأنا جميلة بما فيه الكفاية لكي يتعرف علي البحر دون أن يتقزز من منظري. بعد محطة المعالجة الأولية، ألج أنبوبا كبيرا. فهو آخر مسار مستقيم أمامي قبل أن أصل إلى البحر.

وأنا أجتاز طريقا طوله أكثر من 3000 مترا، قبل مغادرة هذا النفق الذي شيده بني البشر، ألقي آخر نظرة قبل الغطس في المحيط الأطلسي.

- الملوحة أكثر شدة هنا.

- طبعا .فعبر غابر الأزمنة، كانت كل قطرة ماء تحمل معها قسطا من الملح عند عودتها إلى البحر.

أصبحت الطريق مألوفة بالنسبة لي... بل أكثر ألفة... إلتفت حولي... هل تعلمون من يقف بالقرب مني ؟ يالله... سبلاش "Splash" بجانبي. أخيرا يتمكن مرشدي من العثور علي.

- كنت تعتقدين أنك لن تريني مرة أخرى! أليس كذلك... عليك أن تعلمين أن هذا الأمر غير مستحيل بالنسبة إلي.

كدت أطير من الفرح وأنا ألتقي مجددا برفيق رحلتي. فالبرغم من جديته وحزمه، كان يتمييز بقلب طيب... ألم يكن دائما أكبر معين لي.

- هيا... تمسكي بيدي. سنصعد إلى السطح.

نصل معا إلى قمة الأمواج. هناك في أعلى السماء ترسل الشمس اللامعة أشعتها... ألف شعاع وشعاع. حرارة دافئة تسري داخل جسدي لتكسبني الإنتعاشة من جديد. أشعة الشمس تأخذني بين أحضانها...

تلمسني وتداعبني... أصبحت أكثر خفة لتستحود بي رغبة كبيرة للتحليق في السماء. لم تكن تلك رغبة فقط، بل تحليق فعلي وحقيقي. بجواري خيوط من البخار تصعد هي الأخرى وكأن البحر كله يشع تحت سهام شمسية حارة. أصعد بدوري... أصعد ثم أصعد وأصعد... لأجدني من جديد أكثر صفاء هنا في السماء. سحابتي الصغيرة تنتظرني بكل تأكيد... سأحكي لها طبعا قصتي.

- أفدني يا جدي هل رأيت قطرة الماء ثانية أو أكثر منها ؟ أجل، من حين لآخر، عندما ترجع إلى الأرض، لا تتردد في زيارتي، وليس بمفردها، بل برفقة آلاف القطرات رفيقاتها في السفر وهي معتبرة كامل عنايتنا بها لذا أوصيكما أن تهتما بها عند كل لقاء بها، إنها ثروة تفوق كل تقدير بالمال. يمكنني أن أعتمد عليكما، يا نور ويا صافية، لهذا الغرض، وإن أحسنتما الوفاء بهذا الوعد، فستحظيان بمكالمة قطرة الماء.